(الإمام فخر الدين الرازي،الجانب الإلهي في فلسفته)

الباحث/ محمد داود رجب محمد

إشراف

الاستاذ الدكتور/ عامر النجار **الاستاذ الدكتور/ عبدالحميد درويش**

أستاذ الفلسفة الاسلامية والتصوف **أستاذ الفلسفة الاسلامية والتصوف**

بكلية الاداب جامعة قناة السويس **بكلية الاداب جامعة قناة السويس**

المقدمة

تتطلب الفلسفة الاسلامية وفي القلب منها علم الكلام، أن يكون الدارس لها والباحث فيها على علم بالعقليات غير منكفئ على دواعي الحدوث و مقتضيات الحس و كُدر المادة ذلك أن القول في الفلسفة بعمومها والاسلامية على الخصوص و علم الكلام على الاخص يحتاج بديهةً نقيةً متفتحة تستطيع الجمع و إن شئت التوفيق بين النقل و العقل فلا تعزل النقل انطواءا عن مناط التكليف وتزهيدا في إعماله وتخويفا من استخدام العقل الذي هو أعدل الاشياء قسمة، ولا نغتر بأهواء النفس معتقدين أن في العقل غنية عن النقل، و من هنا نشأ علم الكلام الابن الشرعي للفكر الاسلامي الخالص إذ نشأ اولا وبالاساس من خلال إعمال الاوائل من القرون الاولى العقل لمحاولة فهم النص (لمعرفة مراد الله من كلامه بقدر الطاقة البشرية).

ثم جاءت المحاولات للجمع بين النصوص التي يوهم ظاهرها التناقض لنصل بالتالي الى قضايا التنزيهات فكيف نفهم الآيات التي تنسب الى الله تعالى الاستواء واليد والوجه وغيرها.

ثم ماذا عن قوله سبحانه وتعالى (ليس كمثله شيئ).

و من هنا تضافرت الدواعي لميلاد علم جديد يستقل بدراسة وفهم وبيان العقائد والتأصيل لها،وكان على رأس الداعين الى تنزيه الباري تعالى عما لا يليق بكماله السادة الاشعرية المنتسبة الى الامام أبي الحسن الاشعري ت ٣٠٣ هـ.

ومن بعده تتابعت الائمة في هذه المدرسة الى أن ظهر الامام فخر الدين الرازي ت ٦٠٦هـ، فمثلَ مرحلة جديدة حاول الجمع بين علم الكلام الاسلامي الاصيل والفلسفة سواء ممن نبغوا فيها من بني جلدتنا من الفلاسفة الاسلاميين أو فلاسفة اليونان، ومن هنا فان الامام الرازي يمثل مرحلة تاريخية في علم الكلام حيث أن منهجه في الجمع بين علم الكلام والفلسفة جعل المصنفِين من بعده يحذون حذوه ويسيرون على دربه و هو ما ظهر في أوضح صوره لدى عضد الدين الايجي في المواقف و سعد الدين التفتازاني في المقاصد، ولم يتوقف تأثير الامام الرازي على هذين فحسب بل ظلت مؤلفاته مصادر ومراجع لمن شاء أن يتخذ الى تنزيه ربه سبيلا.

و كان من بين من نالوا حظا وفيرا من فضل الرازي الامام الشيخ محمد متولي الشعراوي الذي ملأ الدنيا بعلمه و أَلِفَ الناس عامتهم وخاصتهم الاستماع اليه بل والاستمتاع بحديثه وخواطره

و من هنا جاء اختياري للموضوع.

الحاجة إلى التزود بأصول الفكر الاسلامي

ذلك أن المجتمع الإسلامي المعاصر يعاني من خلل فكري يتمثل في الخلط بين المفاهيم و في سوء الفهم للكثير من المصطلحات الدينية، الأمر الذي تسبب في إحداث بلبلة في الفكر و اضطراب في الفهم وقصور في الرؤية الصحيحة للأمور، و الأمر المثير للقلق هو انعكاس ذلك كله على السلوك بين طوائف الأمة التي وصل الأمر فيها إلى حد تكفير بعضها بعضا لأتفه الأسباب (١)

و بالمقابل، فمناخ العصر تزايدت حدة الجدل حول الثوابت. أي المقدس و السبب في ذلك كله هو روح العصر المستمدة من الحضارة الغربية، فقد أصبح الظن السائد أن التقدم هو فعل حر تلقائي يحكمه عقل الإنسان المجرد من كل قيود، و المدفوع نحو تحقيق المصلحة المباشرة الخ (٢) لقد أتى على العلم الطبيعي حين من الدهر امتلأ فيه ثقة بنفسه، وخيلاءً بقدرته، وحينئذٍ حسب أوجست كونت أنه قد أعلن انتصاراً مظفراً على الدين و الميتافيزيقا جميعاً، ثم أتى على العلم الطبيعي حين آخر من الدهر أصبح فيه أكثر تواضعاً وأقل ثقة و خيلاء، فمن عجيب

الأمور –كما يقرر برتراند راسل بحق – أن رجل الشارع لم يكد يؤمن بالعلم إيماناً كلياً حتى بدأ رجل المعمل يفقد إيمانه به، و بينما كانت فلسفة علم الطبيعة في الماضي متكبرة متسلطة، أضحت الفلسفة الجديدة لعلم الطبيعة متواضعة متلعثمة (٣) وهذا ربما يلمس كبد الحقيقة فإن الانصراف عن عالم الروح إلى الحس المجرد أو المادية القاسية بكل ما تعنيه الكلمة و محاولة ربط السعادة بمدى إشباع اللذات محض حيوانية أهدرت كثيرا من معاني الإنسانية.

وتلك الرؤية مادية في جوهرها، لأنها تعرف التقدم من خلال الاستخدام و الاستغلال المطلق من أي قيود أخلاقية أو قيمية أو دينية، وتظن أن منبع هذا التوجه، من فكرة الرفاهية نفسها لأنها تعرف السعادة والإشباع من خلال مبدأ اللذة (٤) تلك المادية المستعبدة لبعض من فتنوا بمبدأ اللذة و وجدوا فيها غاية أمانيهم و من ثم فلا يمانع من أي تصرف و لا يبالي بمبدأ أو فضيلة، فيشكك أو يطعن في صميم الهوية قصدا لتدمير الفكر والحضارة والثقافة واختلاق قطيعة بين ماضينا المضيء و حاضرنا المرير فترى مثلا بعضا ممن تسموا بأسمائنا و تدثروا بغشاء واهٍ باسم الثقافة وتصدروا المشهد، يدعو إلى الانسلاخ من اللغة والدين والتاريخ، ولذا فلا عجب – و الحال هكذا – أن نجد بعضاً ممن فقدوا هويتهم، بلغوا من القبح، أن يصدر ممن وكل إليهم أمر النشئ و تربيته وتعليمه و توعيته بتاريخه وهويته، و إعداده للمستقبل في سابقة خطيرة من نوعها :أن تقوم وكيلة وزارة التربية والتعليم بتجميع بعض الكتب الدينية ككتاب "منهج الإصلاح في الإسلام " للدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الأسبق رحمه الله وبعض كتب الإعجاز العلمي في القرآن وغيرها من الكتب التي تتحدث عن دور المرأة في الحضارة الإسلامية وأهمية الصلاة في الإسلام، مبررة هذا الفعل الاجرامي بان هذه الكتب تحض على العنف وليست ضمن قائمة كتب الوزارة المصرح بها الأمر الذي أثار حفيظة الجميع بمن فيهم علماء الأزهر واستنكروا هذا الفعل الهمجي مشددين على أن الفكر يناقش بالفكر وليس بالحرق..مطالبين بضرورة محاسبة من قام بهذا الإجرام (٥)

و نتساءل ماذا سيتبقى لنا من شخصيتنا بعد التخلي عن اللغة والدين والتاريخ و أي أمة تلك التي يمكنها أن تستولد من جديد في عالم تتقاتل الأمم والشعوب على امتلاك التاريخ و نشر لغتها بغية السيطرة !!!

بينما نرى المنصفين من المفكرين المخلصين في ولائهم لثقافتهم العربية وأهلها تنطق كتاباتهم بما يفصح عن مكنونهم :

وجملة القول أن القرءان الكريم مصدر أساسي من مصادر الفلسفة العربية.. و لهذا المصدر أثر عميق في الحركات الفكرية التي انتشرت في الإسلام قبل ترجمة كتب اليونان، ولولا حاجة الفرق الإسلامية إلى دعم حججها بالبراهين المنطقية لما أقبل العرب على ترجمة هذه الكتب (٦).

تلك قضية الهوية والشعور بالانتساب إلى جذور متأصلة أصلها ثابت وفرعها في السماء.... هي إذاً العراقة والأصالة و النظر للأمور بعقلانية بعيدا عن الدعايات السوداء التي لا طائل من ورائها، ولم لا فبسبب ضغوط عملية التحديث أصبح تراث الأمة مهددا بالضياع فبدأً من فصل الديني عن الدنيوي و تسييد الأخير انتهاءً بتحول الجماعات إلى طبقات، أصبح جوهر حضارة الأمة يقبع بداخلها بعد تهميشه و عزله وباتت المحاولات لجعل التراث يتراجع أمام هجمة التغريب على أشدها (٧) و من المعلوم لكل عاقل أن الحق ليس حكرا على أحد أو طائفة أو فرقة من الفرق. فالحق واحد ولكن الأفهام متعددة، وتلك طبيعة الفكر الإنساني (٨) وبين هؤلاء وأولئك ــ بين شد وجذب لدى المتصدرين لمسائل العقيدة، ترى الانقسام والتشرذم على أشده وفي أحط صوره بين التهكم والتبديع انتهاءً بالتكفير.

يصرح بذلك بأسلوب ينضح بغل دفين في الصدور إذ يقول قائلهم في مفتتح أحد المؤلفات (أما بعد) فهذا استعجال الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة انتخبته من كلام شيخ الإسلام. و قدوة الأنام، ناصر السنة (شمس الدين أبي عبد الله بن قيم الجوزية) رحمه الله تعالى (٩)

و كأننا في مواجهة شاملة (١٠) بينما الواقع يقرر أننا في حقل واحد وهو الدفاع أو توضيح المسائل العقدية الموهمة للتشبيه بين الله والعالم درءا للتعارض وإيضاحا للمفاهيم، و لسنا بصدد التناحر و المبارزة.

ولكنه سؤال طرحه الدكتور محمد عبد الفضيل القوصي (رحمه الله تعالى) – لايمكن اغفاله– :

ترى هل قضت العلوم الطبيعية التجريبية على العلوم النظرية العقلية القضاء المبرم الذي لا حياة بعده ؟

وهل سدت العلوم الطبيعية حاجة الإنسان فلم يبق له بعدها حاجة ؟(١١) وعلى هذا فلا يمكن أن تستقيم الحياة اكتفاءً بأحدهما عن الآخر .

" مجال يتعلق بأسباب الحياة و الكون والمقدسات ، كما يتعلق بالقيم والأخلاقيات المطلقة وذلك هو المجال الديني، ومجال دنيوي يتعلق بالحياة والسلوك والعمل وسبل العيش و مهارات الانجاز و ذلك هو المجال الدنيوي. (١٢)

نظرا لما تميز به فكر الإمام الرازي في جانبه النقدي على الأخص ذلك، أنه كان للإمام صولات وجولات وتعددت مظاهره بين نقد للمشبهة و المجسمة و الكرّامية الضالين في أمر التنزيه.

أو مناظراته مع أهل الملل الأخرى من عبدة البشر أو الحجر أو النار أو غيرهم،

أو تفنيده للشبهات خلال تفسيره العظيم، المشتهر بالتفسير الكبير، مفاتيح الغيب.

بل انه رحمه الله لم تتوقف حملاته وصولاته عند مجرد الشبهات المثارة لا بل تعداه إلى استحضار الشبه التي لو فرض أنها أثيرت متبرعا ومستبقا للرد عليها.

وان كان هذا من بعض ما عابه عليه خصومه

ثم ما تفرد به الإمام الرازي كفيلسوف عظيم من إبداعات و ما امتاز به بين العلماء، و أيضا من باب الرد على ما يشاع من حين لحين من ترويج لأكاذيب بحق الأشاعرة (أحد توأمي) أهل السنة والجماعة والإمام الرازي يمثل أحد أهم الأعلام في تلك المدرسة بل أحد أهم الرموز في الفلسفة الإسلامية.

ثم ما قام به فخر الدين من دور عظيم في الذود عن عقيدة الإسلام و الدفاع عنه.

أما الشخصية الثانية: الإمام الشعراوي:

وغير خاف ما حاذه من شهرة وإتقان وما قدمه من مواقف شاهدة بحضور برهانه وقدرته على الإقناع و الدفاع عن منهجه.

وإن شئت دليلا فليس أدلّ من خواطره حول كتاب الله تعالى.

ثم ما مُنحه من توفيق صعد به إلى استحداث مناهج جديدة و قضايا مستحدثة حتى عدّه الأكثرون مجدد القرن.

صلة البحث بالتخصص (وهذا من أهم الأسباب الداعية لاختيار الموضوع)

أولا : يمتاز قسم العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر(*) – عن نظرائه من أقسام الفلسفة بالجامعات المصرية – بكونه التخصص الأكثر حيوية وانفتاحا وتنوعا،

فتجده يدرّسُ علم الكلام كفرع رئيس في أعماله، بأقسامه (فيما يتعلق بالإلهيات و النبوات والسمعيات).

و يتناول (وجوه النقد حول القضايا مع مراعاة التنوع بين الفرق الإسلامية في هذا، وأيضا يتناول التيارات الفكرية المختلفة سواء ما اتفق منها مع توجهاتنا الحضارية أو اختلف.

ثم الفرق الإسلامية وما يقتضيه من رحابة وتنوع في العبقرية الحضارية للمسلمين فترى المعتزلة تتألق بفكرها كاشفة عن تعقل وتفلسف فاق في كثيرمن جوانبه ما يدعى (افتراءا بمعجزة اليونان و فرية سبق الفلسفة اليونانية وتصدرها تاريخ الفكر) – لدى بعض الكاتبين في المجال– بجانب التناول الدقيق للفلسفة بجميع طبقاتها إن صح التعبير، أو لنقل بجميع أطوارها قديمة ثم في العصور الوسطى – وينبغي أن نفرق بين فلسفة العصور الوسطى في طابعها الأوربي عنها في جانبها من الشطر الآخر في العالم عند المسلمين، فإنها وان تزامنت و الفلسفة الإسلامية (زمانا) إلا أن الفلسفة الاسلامية كان لها طابعها العلمي المنفرد عند أعلام الحضارة الإسلامية.

الفصل الاول: حياة فخر الدين الرازي، ومكانته العلمية

نظرا لوفرة الدراسات العلمية حوله فقد تعددت المصادر وتبارى الكاتبون في الإشادة والتعريف بالإمام.

فعلى سبيل المثال لا الحصر خصص المرحوم الدكتور محمد صالح الزركان في رسالته للماجستير وعنوانها (فخرالدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية) بابا كاملا للتعريف بالإمام الرازي، بما يعدل ربع الرسالة حيث أنها كانت في أربعة أبواب

تناول في الفصل الأول حياة الإمام من اسمه و نسبه و ونسبته إلى مدينة الري و ذكر بعض المشاهير الذين انتسبوا إلى الري وذكر أساتذته وتلاميذه و نشاطه و رحلاته العلمية و غيره

وقد تناولها على الوجه التالي، وأنا هنا سأنقل عنه (الزركان) –بتصرف ما دعت الحاجة لذلك– لأنه جمع فأوفى:

هو ابو عبد الله [١٣]محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي، فخر الدين، الرازي مولداً، الطبرستاني أصلا [١٤]، القرشي [١٥]،

(الرازي) نسبة علي غير قياس إلى (الري)،(١٦) ولكثرة ما أنجبت الري من علماء [١٧] فان النسبة إليها لم تعد خاصة بعلم واحد من الأعلام، فلا يكفي أن يقال (الرازي) ليتحدد الشخص المراد، بل لابد من أن نقرن بالنسبة الاسم واللقب [١٨] وكم أوقعت هذه

النسبة في اللبس، كأن نجد في كتاب أو فهرس إحالة علي دراسة عن فخر الدين أو أسماء لكتبه، فإذا بنا عند التحقيق نجد المقصود رزايا آخر.

العقبات التي اعترضت الرازي

يقول الزركان:لاقي ابن الخطيب (*) في حياته الحافلة بالأحداث متاعب كثيرة بسبب مناقشاته مع المعتزلة والكرامية[١٩]. وكم من مرة أخرج من بلد لهياج الفتنة بعد خطبة منه أو مناظرة عنيفة مع معتزلي أو شيخ للكرامية. ففي خوارزم – حيث كان كثير من المعتزلة – ناظر

الرازي شيوخهم محاولاً ابطال مذهبهم، فضيقوا عليه الخناق حتي خرج عن مدينتهم [٢٠]. وفي أكثر مدن ما وراء النهر كان للكرامية شوكة، فلما دخل بلادهم أبطل حججهم وكان له فضل كبير في رجوع كثير من اتباعهم الي مذهب أهل السنة والجماعة. وقربه من الحكام فحقد الكرامية عليه ورموه وأهله بالفواحش وشنعوا فيه بشناعات اختلقوها [٢١]لما أعياهم أمره. قال الصفدي: (نقلت من خط الفاضل علاء الدين الوداعي من تذكرته ان الامام فخر الدين الرازي رحمه الله كان يعظ الناس علي عادة مشايخ العجم، وان الحنابلة (وفي أقوالهم اقتراب من أقوال الكرامية) كانوا يكتبون له قصصا تتضمن شتمه ولعنه وغير ذلك من القبيح...) [٢٢].

ولم يكن الأذي والحسد يصيبه من الاباعد فحسب، بل كان أقرب أقربائه قد أدلي بنصيب في هذا، فأخوه الأكبر (ركن الدين) قد غاظه ما وصل اليه فخر الدين من الثراء والعلم والمنزلة، فكان... يسير خلفه ويشنع عليه.

ومات عن ثمانين الف دينار[٢٣] او عن مائتي الف [٢٤].غير العروض والعقارات والمماليك الذين أعتقهم كلهم أو بعضهم – عند الموت – واعطى لكل واحد منهم بعض المال[٢٥].

ولا حصر لما كان عنده من الذهب والفضة. ولما وصلت مقدمة حاشيته الي خراسان كانت ساقيتها في خوارزم) [٢٦]. وهذه القصة مبالغ في تفصيلها الي حد الافراط فمن أين لرجل مهما كانت ثروته ان تمتد قافلته تلك الأميال الطويلة؟ ولكن مهما كانت درجة صحتها فهي تشير الي ان الرازي اشتهر بالثراء الواسع حتي حيكت حوله الأساطير.

ولم يعفِ خصوم الرازي الرجل من التشكيك بمصادر ثروته حتى اتهموه بهذا الشأن يقول الزركان:

ولنا أن نتساءل ما مصدر هذه الثروة الضخمة؟

يقول بعض المؤرخين: ان طبيبا ثرياً[٢٧] أو تاجراً[٢٨]كان في الري وله ابنتان ثم انه مرض مرض الموت، فزوج ابنتيه بابني فخر الدين، ولما مات الطبيب استولى الرازي علي جميع أمواله، ومن ثم كانت له النعمة.

وهذه القصة – كما يرويها رواتها – غامضة ومثيرة للغبار حول سلوك الرازي، وهذا ما دعا اليافعي ان يعلق عليها بقوله: (قلت: وعلى تقدير صحة ذلك، يحمل علي استيلاء شرعي من وصاية أو وكالة) [٢٩].

وهناك أقوال أخري قيلت حول سبب ثروته [٣٠] ورأيي ان تغير حاله من الفقر الى الغني عائد الي أنه عمل (موظفاً) عند بعض الحكام – كشهاب الدين الغوري، والي ان بعض هؤلاء الحكام – أو كلهم – قد أغدق عليه العطايا، كما هي عادة كثير من الأمراء في تقريب العلماء. بالإضافة الي انه استفاد شيئا ما من ثروة الطبيب (أو التاجر) الثري. ومهما كان مصدر ثروته فقد كان متلافا ينفق انفاق الملوك، [٣١].

و كان ابو عبدالله جميل الصورة بهي الطلعة، ربعة القامة، عبل الجسم، كبير اللحية، عظيم الصدر والرأس، حسن البزة ذا وقار وهيبة، تجلس الملوك والتلاميذ في درسه وكأن علي رؤوسها الطير! [٣٢].

– الرازي و التشيع:

لم يدع مبغضوا الرازي و أعداؤه دنية أو سقطة الا وحاولوا الصاقها بالرجل

يقول الزركان : جاء في لسان الميزان لابن حجر العسقلاني نقلاً عن بعضهم (ان الفخر كان شيعيا يقدم محبة اهل البيت لمحبة الشيعة. حتي قال في بعض تصانيفه: وكان علي شجاعا بخلاف غيره[٣٣]. وقال الرازي في (المطالب العالية): ((وجماعة من الشيعة الامامية يسمونه (أي الشخص الكامل) بالامام المعصوم. وقد يسمونه بصاحب الزمان، ويقولون انه غائب. وقد صدقوا في الوصفين)) [٣٤]. وختم كتاب (الاربعين) بقوله (ونختم هذا الكتاب بالدعاء المأثور عن أكابر أهل البيت عليهم السلام) [٣٥].ولا يكاد يذكر عليا أو أحد آل بيته، في كتاب من كتبه الا قرن الاسم بقوله: (عليه السلام) [٣٦].

ولكن، هل كان الفخر – مع كل هذا – شيعياً؟

يبدو لي ان العكس هو الصحيح، ذلك لأني وجدته – كلما تناول مبحث الامامة – وهو المبحث الأساسي الذي تفترق لأجله الشيعة عن أهل السنة – شديد النقد لآرائهم مفضلاً أبا بكر وعمر قائلاً بمشروعية خلافتهما. ولأنه لو كان شيعياً لما هاجمه الخوانساري – وهو الشيعي المتعصب – وانتقص من قدره ونسبه إلي أهل السنة [٣٧].

أما ما جاء في لسان الميزان من ان الرازي قال في بعض كتبه (وكان علي شجاعاً بخلاف غيره) فهو نقل مبتور لجهل أو تعمد، فقد أورد الرازي هذه العبارة في (معالم أصول الدين) علي هذه الصيغة: (ان عليا كان في غاية الشجاعة و أبو بكر في غاية الضعف – هذا مذهب الروافض) [٣٨] .

وفي الفصل الثاني استفاض في الحديث حول ثقافة الرازي فخر الدين موضحا مصادر ثقافته، العلوم التي ألف فيها و استعرضها مفصلة على النحو التالي:

١- العلوم العقلية والفلسفة والمنطق والجدل

٢- العلوم العربية (الأدب، البلاغة و النحو)

٣- الفقه و أصوله

٤- التفسير

٥- التاريخ والسير

٦- العلوم الرياضية و الطبيعية

٧- الطب

٨- الفراسة

٩- السحر والتنجيم.

واستغرق في ذلك ما جاوز المائة و الستين صحيفة متابعا لمؤلفات الرازي و محققا نسبتها اليه.

و قد قام الدكتور سعيد عبد اللطيف فودة بتحقيق كتاب نهاية العقول في دراية الاصول و في مقدمة تحقيقه عرف بالامام فخر الدين الرازي مبينا جهوده في خدمة العقيدة وذلك في محاورعدة.

وكذا الدكتور فتح الله خليف في كتابه (الفخر الرازي).

و كذلك ترجم له الدكتور طه عبد الرؤوف سعد لدى تقديمه وتعليقه على كتاب الامام (محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين)

فكل هؤلاء وغيرهم ترجموا و توسعوا في الترجمة للامام وبيان فضله

ولذا فلم أرد التطويل باعادة وتكرار ما سبقني اليه ذووا الفضل من العلماء والكاتبين مكتفيا بالاشارة الى المراجع بشأن التعريف بالامام رحمه الله ورضي عنه.

قيمة فكر الامام الرازي

يمثل الامام الرازي ظاهرة فكرية و مدرسة كلامية، جديرة بالوقوف عندها، تأملا ودراسة،

نعتقد أن الحرص على إعادة دراسة أئمة عظماء مثل الإمام الأشعري والغزالي الرازي وغيرهم من أعلام الإسلام، ليعود بالفائدة القطعية على الناس في هذا الزمان من جهة استلهام طريقتهم في الدفاع عن الدين، ورعاية شؤون الناس :

١- ضرورة استحضار سيرتهم لوضع نموذج مثالي أمام طلاب العلم، لاستحثاث هممهم، بأقرب الطرق، وكما هي نافعة في طريق الاقتداء .

٢-متابعة ما بدؤوا به من الحرص على بناء مذهب أهل السنة، وذلك بتناول كتبهم بالدارسة والتمحيص، وإعادة تنقيح مباحثهم، لتقريبها للأجيال الحاضرة .(٣٩)

٣-استئناف طريقتهم في الاستمرار بدراسة الثقافات الأخرى المعارضة للإسلام، والموافقة له، وذلك لأن الضرورة الواقعية تفرض علينا إبقاء التواصل، والتعاون مع الآخرين، مع الحفاظ على هويتنا وأركان ديننا وثقافتنا،..... فلعلنا نستفيد من بعض نتائجهم كما استفاد المتقدمون، ونقوى إلى أن نقدر على إعادة نقد ثقافتهم بآليات جادة عميقة، فإن هذه الطريقة هي الطريقة الأقوم لاستئناف نهضة الإسلام والمسلمين في هذا الزمان. (٤٠)

٤- إن من ينظر في الواقع الحاضر، يجزم بلا تردد بأن منهج الإمام الرازي :.... هو المنهج الأقرب والأنفع لواقعنا المعاش، وذلك لما نلاقيه من تدافع الثقافات والفلسفات المعاصرة المنافية في كثير من جهاتها لقطعيات الإسلام فضلا عن ظنياته وأحكامه، والحفاظ على الدين في هذه الظروف، يحتاج لإحياء مدرسة قادرة .على إعمال رؤية حقيقية وطريقة نافذة تقدر على اقتطاف ما ينفع، واجتناب ما يضر، مع الحرص على استكمال بناء ما وثقه المتقدمون، وإعادة ترميمه، مع الحرص على ترتيبه وتنظيمه بما يتوافق وأذواق أهل العصر؛ فإن اختلاف الصورة مع بقاء الجوهر هو من أعظم طرائق التجديد، فما بالنا إذا أمكننا أن نضم إلى ذلك التحقيق.

في المعاني، والتدقيق في المباني العلمية الراسخة؟ (٤١)

٥ -سمة الاتصال والاستمرار في الإشكاليات والسؤالات الفلسفية والكلامية في علم التوحيد، إما بشخصها أو بنوعها (قدم العالم وحدوثه، وجود الله تعالى، عموم الأحكام الشرعية وتاريخيتها، الفعل الإنساني ومشكلة الاختيار والجبر....)، تتيح لنا مجالا واسعا من الاستفادة من المتقدمين وخصوصا الإمام الرازي؛ لأنه صاحب مدرسة المتأخرين ومؤطرها، بل مخرجها من القوة إلى الفعل . (٤٢)

ويمكن تلخيص ذلك بأن نقول: إن ما قام به الإمام من التجديد الأفقي لعلم التوحيد، بإضافة مسائل له مستجدة، والتوسعة العمودية له بإعادة نقد الأدلة الداخلية والخارجية، هو ما نحتاج إليه في هذا الزمان .(٤٣)

ـ دور الامام الرازي في المذهب الاشعري

منزلة الإمام الرازي معلومة عند أهل السنة بل عند سائر أهل الإسلام وغيرهم، من المعتزلة والحشوية و المجسمة، والشيعة بشتى فرقهم ومذاهبهم، والفلاسفة المتقدمين والمتأخرين، وذلك لما كان له من أثر فى نقد هذه المذاهب والطوائف، وزلزلة كثير من أركانها، وإكمال ما بدأه الأعلام العظام من أهل السنة كالأشعري والباقلاني والجويني والغزالي من عملية نقد منظمة لمذاهب الخصوم وإعادة تحرير وتنقيح وتوجيه لمذهب أهل السنة فجاء الإمام الرازي على رأس هذه العملية التى مازالت ولن تزال مستمرة بإذن الله تعالى، ولكننا عندما ننظر إلى العلماء، فلابد أن تستوقفنا هذه السلسلة الشريفة التى غالباً ما أسميها بالسلسلة الذهبية من أعلام أهل الحق. واشتهر عند المتأخرين من الأعلام أن اسم" الإمام" إن أطلق فى الأصلين، عني به الرازي فخر الدين محمد بن عمر، رحمه الله تعالى، لما له من أثر بارز فيهما(٤٤). وقال ابن خلكان: وكل كتبه ممتعة، وانتشرت تصانيفه فى البلاد، ورزق فيها سعادة عظيمة، فإن الناس اشتغلوا بها ورفضوا كتب المتقدمين، وهو أول من اختراع هذا الترتيب فى كتبه: وأتى فيه بما لم يسبق إليه. و أما الدينيات فصحة كلها متوقفة على صحة هذا العلم، لأنه ما لم يثبت أن للعالم صانعاً حياً عالماً قادراً كيف يتمكن المفسر والمحدث والفقيه من الشروع فى علومهم؟

ثم ان شرف الشئ قد يستفاد بوجه ما من خساسة ضده، وإذا كان الخطأ فى هذا العلم كفراً أو بدعة، مع أنهما من أقبح الأشياء، وجب أن تكون إصابة الحق فيه من أشرف الأشياء. فثبت بهذه الوجوه أن هذا العلم أجل العلوم وأعلاها وأشرفها وأبهاها.(٤٥) ولذا يوصف فخر الدين الرازي بأنه فيلسوف المشرق الأول في القرن السادس الهجري، لأنه عني بالفلسفة عناية كبرى، وحاول أن يوفق بينها وبين الدين (٤٦)، تأثر بابن سينا، وكان شارحا له، فقد شرح كتابيه المهمين وهما" الإشارات والتنبيهات "و"عيون الحكمة"، وأبرز مؤلفاته الكلامية" كتاب الأربعين في أصول الدين "وكتاب" المحصل "وكتاب المباحث المشرقية"، وترجع أهميتها، كما أشار ابن خلدون بحق إلى أن الرازي،... قد استخدم في هذه المؤلفات مناهج الفلاسفة في مهاجمته للقضايا التي تعارض الشريعة.

لكنه تخطى الغزالى في جمعه بين الفلسفة والكلام جمعا تاما غدا معه الفصل بينهما أمرا متعذرا (٤٧) يقول ابن خلدون" :وأول من كتب في طريقة الكلام على هذا المنحى (المنحى الفلسفي)، الغزالي رحمه الله، وتبعه الإمام ابن الخطيب(يعني الامام الرازي) وجماعة قفوا أثرهم، واعتمدوا تقليدهم، ثم توغل المتأخرون من بعدهم في مخالطة كتب الفلسفة، والتبس عليهم شأن الموضوع في العلمين فحسبوه فيهما واحدا في اشتباه المسائل بينهما(٤٨)، لقد صار علم الكلام عند الامام الرازي فلسفيا بشكل ظاهر، فالناظر في كتاب" المباحث المشرقية "يدرك مدى تأثر الرازي بابن سينا، فمعظم ما ناقشه الرازي من موضوعات جاءت شبيهة إلى حد كبير بما سبق لابن سينا مناقشته في كتابه الإشارات والتنبيهات حيث قدم لنا صورة غنية بالدلالة عما آل إليه "علم الكلام الفلسفي"، إذ اختار من فلسفة ابن سينا مسائل اجتهد في تقريرها بصورة ترفع الإشكال عنها في نظر المتكلمين، وضم إلى ذلك مسائل من علم الكلام الأشعري، هكذا مارس الرازي الكلام في الفلسفة [٤٩]، كما مارس الفلسفة في علم الكلام من خلال كتابه" المحصل" ، حيث كان هدفه هو تحقيق المصالحة بين علم الكلام والفلسفة، فحاول إقامة نوع من التعايش بين المفاهيم الفلسفية والمفاهيم الكلامية التي تتناول موضوعا واحدا أو توظف في مسألة يشترك في الخوض فيها كل من الفلاسفة والمتكلمين[٥٠] .فالناظر في هذا الكتاب يجد جزءا كبيرا منه موقوفا للدلالة على صلة الاستدلال بالعلم، ولبيان حقيقة الجوهر والعرض إلى ما سوى ذلك من موضوعات فلسفية ومنطقية، ويمكن القول بأن الامام الرازي بهذا استطاع أن يقيم منهجا فلسفيا كلاميا كما سن بكتابه" المحصل "سنة في تبويب المشكلات الكلامية وتقسيمها سار عليها من جاءوا بعده من متأخرى الأشعرية وبخاصة الإيجي في مواقفه" [٥١].

الفصل الثاني: موقف الامام الرازي من الاسماء والصفات

القول في الإسم الأعظم (تقدس بارينا وتنزه)

يقول الامام الرازي :

المسألة الثانية عشرة: القائلون بأن الإسم الأعظم موجود اختلفوا فيه على وجوه:

الأول: قول من يقول إن ذلك الاسم الأعظم هو قولنا (ذو الجلال والإكرام) و هو ضعيف، لأن الجلال إشارة إلى الصفات السلبية، والإكرام إشارة إلى الصفات الإضافية، وقد عرفت أن حقيقته المخصوصة مغايرة للأسلوب والإضافات.(٥٢)

والقول الثانى: قول من يقول أنه هو (الحى القيوم) لقوله عليه الصلاة والسلام لأبى ابى كعب: ما أعظم آية فى كتابه الله تعالى؟ فقال: (الله لا إله إلا هو الحى القيوم) فقال "ليهنك العلم أبا المنذر" وعندى أنه ضعيف، وذلك لأن الحي هو الدراك الفعال، وهذا ليس فيه كثرة عظمة لأنه صفة، وأمام القيوم فهو مبالغة فى القيام، ومعناه كونه قائماً بنفسه مقوماً لغيره، فكونه قائماً بنفسه مفهوم سلبى وهو استغناؤه عن غيره، وكونه مقوماً لغيره صفة إضافية فالقيوم لفظ دال على مجموع سلب وإضافة، فلا يكون ذلك عبارة عن الإسم الأعظم.(٥٣)

القول الثالث: قول من يقول: أسماء الله كلها عظيمة مقدسة، ولا يجوز وصف الواحد منها بأنه أعظم، لأن ذلك يقتضى وصف ما عداه بالنقصان وعندى أن هذا أيضا ضعيف لأنا بينا أن الأسماء منقسمة إلى الأقسام التسعة، وبينا أن الإسم الدال على الذات المخصوصة يجب أن يكون أشرف الأسماء وأعظمها، وإذا ثبت هذا بالدلائل فلا سبيل فيه إلى الإنكار.

القول الرابع: أن الإسم الأعظم هو قولنا "الله" وهذا هو الأقرب عندي لأنا سنقيم الدلالة على أن هذا الإسم يجرى مجرى إسم العلم فى حقه سبحانه، وإذا كان كذلك كان دالا على ذاته المخصوصة. (٥٤)

المسألة الثالثة عشرة: أما الإسم الدال على المسمى بحسب جزء من أجزاء ماهية المسمى فهذا فى حق الله تعالى محال، لأن هذا إنما يتصور فى حق من كانت ماهيته مركبه من الأجزاء

وذلك فى حق الله محال لأن كل مركب فإنه محتاج إلى جزئه، وجزؤه غيره فكل مركب فإنه محتاج إلى غيره وكل محتاج إلى غيره فهو ممكن، ينتج أن كل مركب فهو ممكن لذاته، فما لا يكون ممكناً لذاته امتنع أن يكون مركباً، وما لا يكون مركباً إمتنع أن يحصل له اسم بحسب جزء ما هيته. (٥٥)

ثم يقسم الامام الرازي الأسماء باعتبار دلالتها على الصفات الحقيقية

فيقول قد عرفت أن هذا البحث ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

(الأول) الاسماء الدالة على الوجود وفيه مسائل:

المسألة الأولى: أطبق الأكثرون على أنه يجوز تسمية الله تعالى باسم الشئ ونقل عن جهم ابن صفوان غير جائز، أما حجة الجمهور فوجوه:

الحجة الأولى: قوله تعالى (قل أي شئ أكبر شهادة قل الله) وهذا يدل على أنه يجوز تسمية الله باسم الشئ، فإن قيل: لو كان الكلام مقصوراً على قوله (قل الله) لكان دليلكم حسناً، لكن ليس الأمر كذلك بل المذكور هو قوله تعالى (قل الله شهيد بينى وبينكم).

الحجة الثالثة: لفظ الشئ لا يفيد صفة من صفات الجلال والعظمة والمدح والثناء وأساء الله تعالى يجب كونها كذلك ينتج أن لفظ الشئ ليس إسماً لله تعالى: أما قلولنا أن إسم الشئ لا يفيد المدح والجلال فظاهر، وذلك لأن المفهوم من لفظ الشئ قدر مشترك بين الذرة الحقيرة وبين أشرف الأشياء، وإذا كان كذلك كان المفهوم من لفظ الشئ حاصلاً فى أخس الأشياء وذلك يدل على أن إسم الشئ لا يفيد صفة المدح والجلال، وأما قولنا: أن أسماء الله يجب أن تكون دالة على صفة المدح والجلال، فالدليل عليه قوله تعالى (ولله الأسماء الحسنى)، لا معنى له إلا كونها دالة على الصفات الحسنة الرفيعه الجليلة، فإذا لم يدل الإسم على هذا المعنى لم يكن الإسم حسناً ثم إنه تعالى أمرنا بأن ندعوه بهذه الأسماء ثم قال بعد ذلك (وذروا الذين يلحدون فى أسمائه) وهذا كالتنبيه على أن من دعاه بغير تلك الأسماء الحسنة فقد ألحد فى أسماء الله، فتصير هذه الآية دلالة قوية على أنه ليس للعبد أن يدعو الله إلا بالأسماء الحسنى الدالة على صفات الجلال والمدح، وإذا ثبتت هاتان المقدمتان فقد حصل المطلوب.(٥٦)

الحجة الرابعة: أنه لم ينقل عن رسول الله ولا عن أحد من الصحابة أنه خاطب الله بقوله يا شئ، وكيف يقال ذلك وهذا اللفظ فى غاية الحقارة، فكيف يجوز للعبد خطاب الله بهذا الإسم، بل نقل عنهم أنهم كانوا يقولون: يا منشئ الأشياء، يا منشئ الأرض والسماء.(٥٧)

نلاحظ هنا كيف تتجلى (الروح الإيمانية المسيطرة على الامام الرازي بين طيات كتاباته مما يدل على دوام الذكر الذي لا ينفك استحضار المحب محبوبه، و كأني بسيدنا الفخر قد بلغ مقام الإحسان: (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) يقول الامام: ولنختم هذا الفصل بذكر شريف رأيته فى بعض الكتب: يا هو، يا من لا هو إلا هو، يا من لا إله إلا هو، يا أزل، يا أبد، يا دهر، يا من هو الحى الذى لا يموت. (٥٨)

ثم ينقل عن حجة الاسلام، فيقول ومن لطائف هذا الفصل أن الشيخ الغزالى رحمة الله عليه كان يقول: "لا إله إلا الله" توحيد العوام، " ولا إله إلا هو" توحيد الخواص، ولقد استحسنت هذا الكلام وقررته بالقرآن والبرهان: أما القرآن فإنه تعالى قال (ولا تدع مع الله إلهاً آخر لا إله إلا هو) ثم قال بعده (كل شئ هالك إلا وجهه) معناه إلا هو، فذكر قوله إلا هو بعد قوله لا إله فدل ذلك على أن غاية التوحيد هى هذه الكلمة، وأما البرهان فهو أن من الناس من قال: أن تأثير الفاعل ليس فى تحقيق الماهية وتكوينها، بل لا تأثير له إلا فى اعطاء صفة الوجود لها، فقلت: فالوجود أيضا ماهية، فوجب أن لا يكون الوجود واقعاً بتأثيره، فأن التزموا ذلك وقالوا الواقع بتأثير الفاعل موصوفية الماهية بالوجود فنقول: تلك الموصوفية ان لم تكن مفهوماً مغايراً للماهية والوجود امتنع إسنادها إلى الفاعل، وأن كانت مفهوماً مغايراً فذلك المفهوم المغاير لا بد وأن يكون له ماهية، وحينئذ يعود الكلام، فثبت أن القول بأن المؤثر لا تأثير له فى الماهيات ينفى التأثير والمؤثر، وينفى الصنع والصانع بالكلية وذلك باطل فثبت أن المؤثر يؤثر فى الماهيات، فكل ما بالغير فإنه يرتفع بارتفاع الغير، فلولا المؤثر لم تكن تلك الماهية ماهية ولا حقيقة، فبقدرته صارت الماهيات ماهيات صارت الحقائق حقائق وقبل تأثير قدرته فلا ماهية ولا وجود ولا حقيقة ولاثبوت، وعند هذا يظهر صدق قولنا " لا هو إلا هو" وأن لا تقرر لشئ من الماهيات ولا تخصص لشئ من الحقائق إلا بتقريره وتخصيصه، فثبت أنه "لا هو إلا هو" والله أعلم.(٥٩)

أسماء الله تعالى توقيفية أم اصطلاحية

يقرر الامام الرازي القول فى بقية المباحث عن أسماء الله تعالى، وفيه مسائل

المسئلة الأولى: اختلف العلماء فى أن أسماء الله تعالى توقيفية أم اصطلاحية، قال بعضهم لا يجوز اطلاق شئ من الأسماء والصفات على الله تعالى إلا إذا كان وارداً فى القرآن. (٦٠) وأن يعتبر تلك المناسبات حتى ينتفع بالذكر، والكلام فى شرح هذا الباب مبنى على مقدمة عقلية وهى أنه ثبت عندنا أن النفوس الناطقة البشرية مختلفة بالجوهر والماهية، فبعضها إلهية مشرقة حرة كريمة، وبعضها سفلية ظلمانية نذلة خسيسة، وبعضها رحيمة عظيمة الرحمة، وبعضها قاسية قاهرة، وبعضها قليلة الحب لهذه الجسمانيات قليلة الميل إليها، وبعضها محبة للرياسة والاستعلاء، ومن اعتبر أحوال الخلق علم أن الأمر كما ذكرناه ثم إنا نرى هذه الأحوال لازمة لجواهر النفوس، وإن كل من راعى أحوال نفسه علم أن له منهجاً معيناً وطريقاً مبيناً فى الإرادة والكراهة والرغبة والرهبة، وأن الرياضة والمجاهدة لا تقلب النفوس عن أحوالها الأصلية ومناهجها الطبيعية، وإنما تأثير الرياضة فى أن تضعف تلك الأخلاق ولا تستولى على الإنسان، فأما أن ينقلب من صفة أخرى فذلك محال، وإليه الإشارة بقوله عليه الصلاة والسلام " الناس معادن كمعادن الذهب والفضة" وبقوله عليه الصلاة والسلام: " الأرواح جنوده مجندة" إذا عرفت هذا فنقول : الجنسية علة الضم، فكل اسم من أسماء الله تعالى دال على معنى معين، فكل نفس غلب عليها ذلك المعنى كانت تلك النفس شديدة المناسبة لذلك الاسم، فإذا واظب على ذكر ذلك الاسم انتفع به سريعاً،(٦١) وسمعت أن الشيخ أبا النجيب البغدادى السهروردى كان البغدادى السهروردى كان يأمر المريد بالأربعين، مرة أو مرتين بقدر ما يراه من المصلحة، ثم كان يقرأ عليه الأسماء التسعة والتسعين وكان ينظر إلى وجهه فإن رآه عديم التأثر عند قراءتها عليه قال له اخرج إلى السوق واشتغل بمهمات الدنيا فأنك ما خلقت لهذا الطريق، وإن رآه متأثراً عند سماع اسم خاص مزيد التأثر أمره بالمواظبة على ذلك الذكر، وأقول: هذا هو المعقول، فإنه لما كانت النفوس مختلفة كان كل واحد منها مناسباً لحالة مخصوصة، فإذا اشتغلت تلك النفس بتلك الحالة التى تناسبها كان خروجها من القوة إلى الفعل سهلاً هيناً يسيراً، وليكن هذا آخر كلامنا فى البحث عن مطلق الأسماء، والله الهادى. (٦٢)

لذا قرر الرازي أن أسماء الله توقيفية، فلا يسم الله إلا بما سمى به نفسه، لأن تسمية الرب بما لم يسم به نفسه عدوان في حقه، وسوء أدب معه، وقول علي الله بلا علم، فيكون من أعظم المحرمات(٦٣).

كما أن أسماء الله عند الامام الرازي ليست جامدة، أي أن الأسماء هي ألفاظ دالة على معان، فهي إنما تحسن بحس معانيها، ومفهوماتها، ولا معني للحسن في حق الله تعالي إلا بذكر صفات الكمال ونعوت الجلال[٦٤] أما عن دلالة الأسماء الحسني علي الصفات فقد وجه الرازي هذه القاعدة بما يوافق معتقده في الصفات، فإذا كان الاسم دال علي صفة يؤولها نفى دلالة الاسم علي هذا المعني الذي ينفيه، على سبيل التنزيه لله تعالى، فبعض الأسماء عند الرازي في حقيقتها تدل علي التشبيه والتجسيم لله تعالي، ومن ثم تأولها، وذلك كما في النور[٦٥]

والصمد في أحد الأقوال التي ذكرها

فالرازي وافق السلف في الجملة في الأسماء، وتأثر بالمعتزلة، وبالفلاسفة في بعضها الآخر.

لفظ الجلال (الله) هل اسم علم على الله تعالى، أم أنه لفظ مشتق

يقول الامام: المسألة الأولى المختار عندنا أن هذا اللفظ اسم علم الله تعالى، وأنه ليس بمشتق البتة، وهو قول الخليل وسيبويه، وقول أكثر الأصوليين والفقهاء، ويدل عليه وجوه، وحجج،

الحجة الأولى: أنه لو كان لفظاً مشتقاً لكان معناه معنى كلياً لا يمنع نفس مفهومه من وقوع الشركة فيه لأن اللفظ لا يفيد إلا أنه شئ ما مبهم حصل له ذلك المشتق منه وهذا المفهوم لا يمنع من وقوع الشركة فيه بين كثيرين، فثبت أن هذا اللفظ لو كان مشتقاً لم يمنع وقوع الشركة فيه بين كثيرين، ولو كان كذلك لما كان قولنا " لا إله إلا الله" توحيداً حقاً مانعاً من وقوع الشركة فيه بين كثيرين، لأن بتقدير أن يكون الله لفظاً مشتقاً كان قولنا "الله غير" مانع من أن يدخل تحته أشخاص كثيرة، وحينئذ لا يكون قولنا "لا إله إلا الله" موجباً للتوحيد المحض، وحيث أجمع العقلاء على أن قولنا "لا إله إلا الله" يوجب التوحيد المحض علمنا أن قولنا "الله" اسم علم موضوع لتلك الذات المعينة، وأنها ليست من الألفاظ المشتقة(٦٧).

الحجة الثانية: أن من أراد أن يذكر ذاتاً معينة ثم يذكره بالصفات فإنه يذكر اسمه أولاً ثم يذكر عقيب الاسم الصفات، مثل أن يقول: زيد الفقيه النحوى الأصولى، إذا عرفت هذا فنقول: إن كل من أراد أن يذكر الله تعالى بالصفات المقدسة فإنه يذكر أولاً لفظة الله ثم يذكر عقيبه صفات المدائح مثل أن يقول: الله العالم القادر الحكيم، ولا يعكسون هذا فلايقولون: العالم القادر الله، وذلك يدل على أن قولنا "الله" اسم علم. (٦٨) (فان قيل): أليس أنه تعالى قال فى أول سورة إبراهيم (العزيز الحميد الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض)؟ (قلنا): ههنا قراءتان منهم من قرأ الله بالرفع، وحينئذ يزول السؤال، لأنه لما جعله مبتدأ فقد أخرجه عن جعله صفة لما قبله، وأما من قرأ بالجر فهو نظير لقولنا: هذه الدار ملك للفاضل العالم زيد وليس المراد أنه جعل قوله زيد صفة للعالم الفاضل، بل المعنى أنه لما قال هذه الدار ملك للعالم الفاضل بقى الاشتباه فى أنه فى ذلك العالم الفاضل؟ فقيل عقيبة زيد، ليصير هذا مزيلاً لذلك الإشتباه، لما لم يلزم ههنا أن يقال اسم العلم صار صفة فكذلك فى هذه الآية.(٦٩)

الحجة الثالثة: قال تعالى: (هل تعلم له سمياً) وليس المراد من الاسم فى هذه الآية الصفة وإلا لكذب قوله (هل تعلم له سمياً) فوجب أن يكون المراد اسم العلم، فكل من أثبت لله اسم علم قال ليس ذاك إلا قولنا الله.(٧٠)

واحتج القائلون بأنه ليس اسم علم بوجوه وحجج:

الحجة الأولى: قوله تعالى (وهو الله فى السموات) وقوله (هو الله الذى لا إله إلا هو) فإن قوله "الله" لابد وأن يكون صفة، ولا يجوز أن يكون اسم علم، بدليل أنه لا يجوز أن يقال: هو زيد فى البلد، وهو بكر، ويجوز أن يقال: هو العالم الزاهد فى البلد، وبهذا الطريق يعترض على قول النحويين: إن الضمير لا يقع موصوفاً ولا صفة، وإذا ثبت كونه صفة إمتنع أن يكون اسم علم.(٧١)

الحجة الثانية: أن اسم العلم قائم مقام الإشارة: فلما كانت الإشارة ممتنعة فى حق الله تعالى كان اسم العلم ممتنعاً فى حقه.

الحجة الثالثة: أن اسم العلم إنما يصار إليه ليتميز شخص عن شخص آخر يشبهه فى الحقيقة والماهية، وإذا كان هذا فى حق الله ممتنعاً كان القول بإثبات الاسم العلم محالاً فى حقه.(٧٢)

والجواب عن الأول لم لا يجوز أن يكون ذلك جارياً مجرى أن يقال: هذا زيد الذى لا نظير له

فى العلم والزهد؟ والجواب عن الثانى أن الاسم العلم هو الذى وضع لتعيين الذات المعينة، ولا حاجة فيه إلى كون ذلك المسمى مشاراً إليه بالحس أم لا، وهذا هو الجواب عن الحجة الثالثة.

المسئلة الثانية: الذين قالوا: إنه اسم مشتق ذكروا فيه فروعاً:

الفرع الأول: أن الإله هو المعبود – سواء بحق أو بباطل، ثم غلب فى عرض الشرع على المعبود بالحق، وعلى هذا التفسير لا يكون إلهاً فى الأزل، واعلم أنه تعالى هو المستحق للعباده، وذلك لأنه تعالى هو المنعم بجميع النعم أصولها وفروعها، وذلك لأن الموجود إما واجب وإما ممكن، والواجب واحد وهو الله تعالى، وما سواه ممكن، والممكن لا يوجب إلا بالمرجح، فكل الممكنات إنما وجدت بإيجاده وتكوينه إما ابتداء وأما بواسطة، فجميع ما حصل للعبد من أقسام النعم لم يحصل إلا من الله.(٧٣)

فثبت أن غاية الإنعام صادرة من الله والعبادة غاية التعظيم فإذا ثبت هذا فنقول: إن غاية التعظيم لا يليق إلا لمن صدرت عنه غاية الإنعام فثبت أن المستحق للعبودية ليس إلا الله تعالى.(٧٤)

الفرع الثانى: أن من الناس من يعبد الله لطلب الثواب وهو جهل وسخف، ويدل عليه وجوه:

الأول: أن من عبد الله ليتوصل بعبادته إلى شئ آخر كان المعبود فى الحقيقة هو ذلك الشئ، فمن عبد الله لطلب الثواب كان معبوده فى الحقيقة هو الثواب، وكان الله تعالى وسيلة إلى الوصول إلى ذلك المعبود وهذا جهل عظيم.

الثانى: أنه لو قال: أصلى لطلب الثواب أو للخوف من العقاب، لم تصح صلاته.

الثالث: أن من عمل عملاً لغرض آخر كان بحيث لو وجد ذلك الغرض بطريق آخر لترك الواسطة، فمن عبدالله للأجر والثواب كان بحيث لو وجد الأجر والثواب بطريق آخر لم يعبد الله، ومن كان كذلك لم يكن محباً لله (٧٥).

المسئلة الثالثة: فى كيفية اشتقاق هذه اللفظة بحسب اللغة، قال بعضهم هذه اللفظة ليست عربية، بل عبرانية أو سريانية، فانهم يقولون إلهاً رحماناً.... فلما عرب جعل "الله الرحمن الرحيم" وهذا بعيد، ولا يلزم من المشابهة الحاصلة بين اللغتين الطعن فى كون هذه اللفظة عربية أصلية، والدليل عليه قوله تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله)وقال تعالى: (هل تعلم له سميا) وأطبقوا على أن المراد منه لفظة (الله) وأما الأكثرون فقد سلموا كونها لفظة عربية،(٧٨)

أما القائلون بأن هذا اللفظ اسم علم لله تعالى فقد تخلصوا عن هذا المباحث، وأما المنكرون لذلك فلهم قولان: قال الكوفيون: أصل هذه اللفظة إلاه، فأدخلت الألف واللام عليها للتعظيم، فصار الالاه، فحذفت الهمزة استثقالاً، لكثرة جريانها على الألسنة، فاجتمع لامان، فادغمت الأولى فقالوا "الله" وقال البصريون أصله لاه، فألحقوا بها الألف واللام(٧٩) فقيل "الله" وأنشدوا:

كحلفة من أبى رباح يسمعها لاهه الكبار

فأخرجه على الأصل.

المسئلة الرابعة: قال الخليل: أطبق جميع الخلق على أن قولنا " الله" مخصوص بالله سبحانه وتعالى، وكذلك قولنا الإله مخصوص به سبحانه وتعالى، وأما الذين كانوا يطلقون اسم الإله على غير الله فإنما كانوا يذكرونه بالإضافة كما يقال إله كذا، أو ينكرونه فيقولون: إله كما قال الله تعالى خبرا عن قوم موسى (اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال أنكم قوم تجهلون) المسئلة الخامسة: اعلم أن هذا الاسم مختص بخواص لم توجد فى سائر أسماء الله تعالى، ونحن نشير إليها (فالخاصة الأولى) إنك إذا حذفت الألف من قولك "الله" بقى الباقى على صورة "الله" وهو مختص به سبحانه، كما فى قوله (ولله جنود السموات والأرض) ولله خزائن السموات والأرض) وإن حذفت عن هذه البقية اللام الأولى بقيت البقية على صورة "له" كما فى قوله تعالى (له مقاليد السموات والأرض) وقوله (له الملك وله الحمد) فإن حذفت اللام الباقية كانت البقية هى قولنا "هو" وهو أيضا يدل عليه سبحانه كما فى قوله (قل هو الله أحد) وقوله (هو الحى لا إله إلا هو) والواو زائدة بدليل سقوطها فى التثنية والجمع، فإنك تقول: هما، هم فلا تبقى الواو فيهما، فهذه الخاصية موجودة فى لفظ "الله" غير موجودة فى سائر الأسماء، وكما حصلت هذه الخاصية بحسب اللفظ فقد حصلت أيضا بحسب المعنى، فإنك إذا دعوت الله بالرحمن فقد وصفته بالرحمة، وما وصفته بالقهر، وإذا دعوته بالعليم فقد وصفته بالعلم، وما وصفته بالقدرة، وأما إذا قلت يا الله فقد وصفته بجميع الصفات، لأن الإله لا يكون إلهاً إلا إذا كان موصوفاً بجميع هذه الصفات، فثبت أن قولنا الله قد حصلت له هذه الخاصية التى لم تحصل لسائر الأسماء(٨٠).

الخاصية الثانية: أن كلمة الشهادة وهى الكلمة التى بسببها ينتقل الكافر من الكفر إلى الإسلام لم يحصل فيها إلا هذا الاسم، فلو أن الكافر قال: أشهد أن لا إله إلا الرحمن أو إلا الرحيم، أو إلا الملك، أو إلا القدوس لم يخرج من الكفر ولم يدخل فى الإسلام، أما إذا قال أشهد أن لا إله إلا الله فإنه يخرج من الكفر ويدخل فى الإسلام، وذلك يدل على اختصاص هذا الاسم بهذه الخاصية الشرقية، والله الهادى إلى الصواب.

معرفة ذات الله الخاصة

هذه القضية من الاهمية بحيث لا يمكن استبعادها في المشتغلين بهذا الفن أعني (علم الكلام) ذلك أن بعض الماديين يتخذون من هذه القضية ونظائرها ذرائع لما يدينون به و يتسولون استنتاجات لا تنتجها، وإنه إنصافا للدكتور الزركان أقول: لقد أحسن صنعًا إذ تناول هذا العنوان حول(معرفة ذات الله الخاصة) خلال رسالته عن الامام الرازي و آرائه الكلامية والفلسفية:

يقول رحمه الله: إذا استطعنا معرفة وجود الله فهل نستطيع معرفة حقيقة ذاته تعالى؟ اختلفت الأقوال ههنا على ثلاثة:

الأول – أن حقيقته جل وعز غير معلومة ولا يمكن معرفتها فى الدنيا ولا فى الآخرة. وهذا هو مذهب الفارابى وابن سينا وضرار ابن عمرو من المعتزلة وإمام الحرمين والامام الغزالى وابن ميمون وكثير من المتكلمين وأكثر الصوفية وبعض فلاسفة العصور الوسطى. والحديثة. وحججهم فى ذلك مختلفة بحسب اختلاف مذاهبهم، معللا الاسباب في ذلك إلى ثلاثة أسباب رئيسية:

أ- أنا لا نعلم من الله تعالى إلا أموراً أربعة: الوجود، وكيفيات الوجود وهى الأزلية والأبدية، والسلوب كقولنا أنه ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض، والاضافات كالعالمية والقادرية ولكن الذات شئ وهذه الأمور شئ آخر.

ب-الله تعالى غير متناه فى ذاته وفى صفاته، والعقل متناه فيهما، والمتناهى لا سبيل له إلى ادراك غير المتناهى.(٨١)

ج- إذا كان الإنسان عاجزاً عن معرفة نفسه وكنه الزمان والمكان فكيف يستطيع أن يعرف خالق هذه الأشياء.

الثانى – ذهب جمهور المتكلمين من المعتزلة والأشاعرة والماتريدية إلى انها معلومة واعتمد أكثرهم على أن وجود الله عين ماهيته، فإذا عرفنا وجوده فقد عرفنا ماهيته بل ذهبوا إلى أكثر من ذلك إذ قالوا: أن الله لا يُعلم من ماهيته أكثر من علمنا نحن بتلك الماهية.

الثالث– أن حقيقة الله غير معلومة لنا الآن، أما علمنا – بعد رؤيته تعالى يوم القيامة – فهو محل نظر وتردد، وهذا المذهب قد نسبه الرازى وبعض المتأخرين إلى القاضى أبى بكر

الباقلانى.(٨٢) أما فيما يتعلق بالامام فخر الدين الرازي فيضيف الزركان ولقد أخذ الرازى بكل هذه المذاهب الثلاثة، ولكن على فترات متتالية من حياته:

ففى كتاب "الإشارة" وهو من أقدم كتبه يذهب إلى ما ذهب اليه جمهور المعتزلة والأشاعرة من أن حقيقة الله معلومة لنا علماً يقينياً. (٨٣)

أما فى أكثر كتبه فنجده لا يقر ما ذهب إليه أولاً، بل يميل إلى المذهب الأول القاضى بامتناع معرفة الله. يرى أن لهذا المذهب حجة رابعة، فيقول: أننا لا نتصور إلا ما ندركه فى حواسنا أو ما نشعر به من أحوالنا النفسية أو ما نتصوره فى عقولنا أو ما يتركب من هذه الأمور الثلاثة، ولكن ماهية الله خارجة عن كل هذه الأمور

ونستطيع أن نقول أن الرازى قد استقى مذهبه من مجموع ما قاله الباقلانى والبغدادى والجوينى والغزالى، وخاصة الأخير. فهو يعقد فى لوامع البينات فصلاً عنوانه " فى الفرق بين الأسماء والصفات" يقول فيه: أن المتكلمين قالوا: " أن "كل ماهية فأما أن تعتبر من حيث هى هى أو من حيث أنها موصوفة بصفة معينة فالأول هو الاسم والثانى هو الصفة" ، وقد وافقهم على هذا فى التفسير إذ يقول: " الاسم قد يكون اسماً للماهية من حيث هى هى، وقد يكون اسماً مشتقاً، وهو الدال على كون الشئ موصوفاً بالصفة الفلانية كالعالم والقادر" أن المتكلمين قالوا: أن "كل ماهية فأما أن تعتبر من حيث هى هى أو من حيث أنها موصوفة بصفة معينة فالأول هو الاسم والثانى هو الصفة"، وقد وافقهم على هذا فى التفسير إذ يقول: " الاسم قد يكون اسما للماهية من حيث هى هى، وقد يكون اسماً مشتقاً، وهو الدال على كون الشئ موصوفاً بالصفة الفلانية كالعالم والقادر" ولا أظنه يعنى بذلك أكثر من تفرقة الباقلانى والبغدادى بين الأسماء التى تعود إلى الذات وهى الأسماء المحضة، والأسماء التى تعود إلى صفة من صفاته وهى التى يمكن أن تسمى " اسماً" كما يمكن أن تسمى "صفة".(٨٤)

ويزيد مذهبه توضحياً قوله بعد ذلك فى لوامع البينات: "اعلم أن الأسماء أما أن تكون أسماء للذات أو لجزء من أجزاء الذات، أو لأمر خارج عن الذات" أما القسم الأول فيقول عنه أنه اسم "العلم"

والرازى لا يمنع أن يكون لله تعالى اسم علم، (٨٥) وإن لم يذكر له مثالاً فى هذا التقسيم، ولعله يقصد بالعلم اسم "الله" الذى سنجده فى النص التالى، وأما الاسم الدال على جزء من الذات فهو محال فى حق الله تعالى لأنه غير مركب كما يقول الرازى وأما القسم الثالث وهو الاسم الدال على أمر خارج عن الذات فقال عنه الفخر أنه " القسم الذى سميناه بالصفات" وقوله أيضا: " اتفق العلماء على ان ما سوى هذه اللفظة (أى "الله") من أسماء الله تعالى فهى من باب الصفات المشتقة، أما هذه اللفظة فقد اختلفوا فيها" وقد اختار أنها غير مشقته وهذا فى الواقع نفس كلام أمام الحرمين الذى ذكره فى الارشاد كما سبق.

وقد ارجع الرازى هذه الأسماء كلها – عدا اسم الله – إلى سبع صفات حقيقية وكان يرى أول أمره أن ما لم يرده من الأسماء إطلاق، فلا نحكم فيه بالجواز ولا بالمنع وهذا هو مذهب أمام الحرمين ثم تابع الغزالى فى أن الأسماء محدودة بالنصوص عليها، وأن الصفات غير موقوفة على النص أما موقفة من الصفات الخبرية كالوجه واليد فقد الف كتاب "أساس التقديس" ليبين أن المراد منها غير ظاهرها، وأن هذه الألفاظ أما أن نبقيها على ظاهرها ونترك العلم بها لله، وهو مذهب السلف، وأما أن نؤولها ونرجعها إلى الصفات الأخرى، وهو مذهب كثير من المتكلمين، وهو لا يطلق عليها اسم "صفات" بل اسم "متشابهات".

والخلاصة أن الرازى يرى أن الأسماء على قسمين: اسم محض وهو "الله" فقط، وأسماء تدل على صفات وهى باقى الأسماء الحسنى ولا زيادة فى الأسماء بقسميها، والصفات أيضا على قسمين: أولهما تلك الصفات المستفادة من الأسماء الحسنى والتى مرجعها إلى سبع صفات، وثانيهما: كل ما يطلق علي الله تعالى من أوصاف الكمال والتعظيم مما لم ينص عليه. (٨٦)

لقد كان الفخر فى ظاهر الأمر وفى كثير من كتبه، متابعاً للأشعرى فى أن صفات الله تعالى أمور زائدة على الذات وأنها مع ذلك ليست هى عين ذاته ولا غير ذاته وقد نفى الأحوال التى ذهب إليها أبو هاشم الجبائى واتباعه من المعتزلة. ولكنى بالرغم من كل هذا أراه فى التفسير

الكبير الذى هاجم فيه المعتزلة هجوما عنيفاً يميل إلى آراء هؤلاء، أو هكذا خيل إلي، فهو فى موضع من التفسير يقول: إن الله تعالى لذاته عالم" وفى موضع آخر: "اعلم أن صفات الكمال محصورة فى القدرة والعلم.. فقوله: (وهو القاهر فوق عباده)، اشارة إلى كمال القدرة، وقوله: (وهو الحكيم الخبير)، أشارة إلى كمال العلم" بيد أنه وإن قال هنا أن الصفات محصورة فى القدرة والعلم فإنه قال فى نفس الموضع أنهما صفتان قائمتان بالذات،ممكنتان بذاتيهما واجبتان بواجب الوجود. ويدل على ما ذهبت إليه أيضا أن الرازى فى نفس التفسير بعد أن ذكر دلائل مثبتى الصفات الزائدة على الذات – قال:" إلا أنه بقى أن يقال لم لا يجوز أن تكون هذه الصفات صفات نسبية وإضافية، فالمعنى من كونه قادراً كونه بحيث يصح منه الإيجاد، وتلك الصحة معللة بذاته، وكونه عالماً معناه الشعور والإدراك وذلك نسبة إضافية، وتلك النسبة الحاصلة معلله بذاته المخصوصة" (٨٧)

فإذن قد تحرر الرازى، فى بعض أجزاء التفسير، من سلطان الأشعرية ومال إلى المعتزلة إلا أن هذا لا يعنى أنه قد اعتنق مذهب المعتزلة ابتداء من التفسير ولكنه يعنى أنه كان يشعر أحيانا بضعف المذهب الأشعرى فيحاول أن يشكك فيه تاره ويتركه تاره أخرى، ويجمع حينا بينه وبين مذهب المعتزلة فيقول ان الصفات ترجع إلى العلم والقدرة وهما مع ذلك قائمتان بالذات والواقع أنه كان يحس فى قرارة نفسه بعدم الرضا عن كلا المذهبين، وأن العقول البشرية عاجزة عن معرفة كنه صفات الله تعالى فهو مثلاً فى تفسير قوله تعالى: " اهدنا الصراط المستقيم" سورة الفاتحة الاية (٨٨) يقول: " أن من توغل فى التنزيه وقع فى التعطيل ونفى الصفات، ومن توغل فى الإثبات وقع فى التشبيه وإثبات الجسمية والمكان فهما طرفان معوجان، والصراط المستقيم هو الأقرار الخالى عن التشبيه والتعطيل" (٨٩) ويرى أن أفضل إجابة على السؤال القائل: لم اشتمل القرآن على المتشابهات؟ هى أن نقول: " أن القرآن كتاب مشتمل على دعوة الخواص والعوام بالكلية، وطبائع العوام تنبؤ فى أكثر الأمر عن إدراك الحقائق فمن سمع من العوام فى أول الأمر إثبات موجود ليس بجسم ولا متحيز ولا مشار إليه ظن أن هذا عدم ونفي، فوقع فى التعطيل. فكان الاصلح أن يخاطبوا بالفاظ دالة على بعض ما يناسب ما يتوهمونه ويتخيلونه، ويكون ذلك مخلوطا بما يدل على الحق الصرحي، فالقسم الأول وهو الذى يخاطبون فى أول الأمر يكون من المتشابهات، والقسم الثانى، وهو الذى يكشف لهم آخر الأمر هو المحكمات" ويبين الرازى فى مواضع أخرى أن

الذين يقصدهم بقوله " بعضهم" هم المعتزلة فنص المطالب العالية يدل على أنه أورد هذا الكلام على هيئة الاستنكار لا الموافقة ثم كيف يقول الرازى قولاً كهذا،وهو الذى ذهب فى نفس المطالب العالية إلى أن الاقتصار على السبعة أو الثمانية مما لا دليل عليه، بل أن العقل أن دل على وجود صفات أخرى وجب اثباتها لله تعالى، عدا عما فى كتبه الأخرى مما يؤيد هذا المعنى.

أما مخترع هذه الأكذوبة فهو ابن المطهر الحلي فى كتابه "منهاج الكرامة فى معرفة الامامة" وقد رد عليه ابن تيمية فى منهاج الاعتدال فقال: " ولا قال الرازى ما ذكرته، بل ذكره الرازى عمن اعترض به واستهجن الرازى ذكره وهو اعتراض قديم من اعتراضات نفاة الصفات الجهمية".(٩٠)

الخاتمة

إن المتأمل لقيمة الفخر الرازي في الفكر بعمومه والاسلامي على الخصوص وكتاباته في الالهيات على الأخص،يجد نفسه أمام بحر من المعرفة بالله تعالى تفيض كلمات الرازي و تعبيراته بإيمان راسخ منبثق عن اعمال للعقل وفهم للنص،جاعلا نصب عينيه التنزيه لله تعالى (في المقام الاول) ملتزما بالنقل بل لا تكاد تنتقل من قضية الى اخرى او مسألة الى اخرى الا وانت بعالم جليل عابد رباني.

وهذا يجعلنا ندرك أهمية الفخر الرازي الفكرية و قيمة مؤلفاته وضرورة التزود بها في مواجهة المادية التي أنهكت عالمنا المعاصر.

فهرس المصادر والمراجع

(١) السلف والسلفية تأليف الدكتور / محمد عمارة تقديم الدكتور /، محمود حمدي زقزوق صـ ٣ القاهرة ١٤٣١هـ – ٢٠١٠ م

(٢) المقدس و الحرية د / رفيق حبيب الطبعة الاولى ١٤١٨ هـ – ١٩٩٠ م

(٣) برتراند راسل : النظرة العلمية صـ٧٤ نقلاً عن (هوامش على العقيدة النظامية لإمام الحرمين الجويني) أ.د محمد عبد الفضيل القوصي مكتبة الإيمان ٤ ش أحمد سوكارنو – العجوزة الطبعة الثانية ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٦م صـ٦

(٤) المقدس و الحرية د / رفيق حبيب الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ – ١٩٩٠ م

(٥) من تحقيق : ل.ا: مروة غانم(*)، جريدة عقيدتي العدد رقم (١١٥٦) بتاريخ الثاني من رجب ١٤٣٦هـ الموافق٢١ من ابريل ٢٠١٥م

(*) مروة غانم هذا اسمها الصحفي و الأصل أن اسمها ا. مروة سمير عبد الرحمن محمد علي.....مواليد شبين القناطر ١٩٧٩ م، حصلت على بكالوريوس الإعلام من جامعة القاهرة عام ٢٠٠٠ التحقت بالعمل بدار التحرير للطباعة والنشر كصحفية تحت التمرين في نفس العام وعينت بالجريدة عام ٢٠٠٨م تدرجت في بلاط صاحبة الجلالة فُرقّيت إلى رئيس قسم عام ٢٠١٥، ثم مساعدا لرئيس التحرير بجريدة الجمهورية عام ٢٠١٨م

حاضرت (غانم) بكلية الدراسات الإسلامية والعربية فرع البنات جامعة الأزهر بالقاهرة بقسم الصحافة والنشر بالكلية، نظرا لجهودها في جامعة الأزهر فقد تم تكريمها من العديد من الكليات ومنها: كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة، كلية العلوم الإسلامية للوافدين،كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات وأتساءل لماذا يتم تهميش هذه النماذج المضيئة التي تدعوا إلى الفضائل ترسيخا لأصالتنا وارتباطنا بعمقنا التاريخي والحضاري سعيا نحو مجتمع أفضل

إن كان لي من رأي فأنا أطالب بترشيح (ا. مروة غانم) بجريدة: الجمهورية/ عقيدتي لمنحها درجة الدكتوراه الفخرية تتويجا لجهودها، و ما قدمته من كتابات و أعمال في حقل الثقافة العربية والإسلامية، ودعمها للمشتغلين بالعلم طلابا و باحثين و أساتذة، حيث لها مواقف صارمة تنحاز للعلم وأهله بهذا الشأن، لا يتسع المجال لذكرها، تمتاز كتاباتها بالوسطية والاعتدال التزاما بالمنهج الأزهري وانطلاقا من الثوابت الدينية والعلمية والوطنية خدمة للثقافة العربية والإسلامية.

(٦)تاريخ الفلسفة العربية الدكتورجميل صليبا الشركة العالمية للكتاب ص١٩ الطبعة الثالثة ١٩٩٥م١٤١٥هـ

(٧) مصر القادمة بين التغريب والتكفير د:رفيق حبيب الطبعة الاولى ١٤١٦ هـ، ١٩٩٦م ص١٢٩ دار الشروق بتصرف .

(٨) السلف والسلفية د عمارة صـ٣

(٩) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة صـ ٤ تأليف الإمام المحقق محمد بن أبي بكر عرف بابن قيم الجوزية، (اختصره الشيخ الفاضل محمد بن الموصلي. عفا الله عنه الجزء الأول من توزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية و الإفتاء والدعوة والإرشاد الرياض

(١٠) ومن أراد المزيد في هذا الشأن فليطالع مقدمة كتاب شرح العقيدة الطحاوية للعلامة ابن أبي العز الحنفي حققها و ترجمها جماعة من العلماء، خرج أحاديثها محمد ناصر الدين الألباني و التوضيح بقلم زهير الشاويش حقوق الطبع محفوظة للمكتب الإسلامي لصاحبه زهير الشاويش الطبعة الرابعة ١٣٩١ هـ بيروت والخامسة ١٣٩٩ هـ بيروت — ص. ٣٧٧١/ ١١ — هاتف ٤٥٠٦٣٨ — برقيا إسلاميا " بعنوان التوضيح لمقدمة شرح العقيدة الطحاوية للمحدث الألباني و تقرير و تعليقات الشيخ أبي غدة "

بل ومما يفزعك أو يعظم الفجيعة أن تطالع كتاب " تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري تأليف أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي

المتوفى سنة ٥٧١ هـ هامش رقم (١١) الصحيفة الثانية من المقدمة إذ يذكر أن من عادة الحشوية إذا رأوا كتب المخالفين لهم في الرأي أوسعوها حرقا أو ترصدوا لها لإتلافها. مطبعة التوفيق بدمشق ١٣٤٧ هـ.

(١٢)هوامش على العقيدة النظامية لإمام الحرمين الجويني أ.د محمد عبد الفضيل القوصي مكتبة الإيمان ٤ ش أحمد سوكارنو – العجوزة الطبعة الثانية ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٦م صـ٦

(١٣) مصر القادمة بين التغريب و التكفير د / رفيق حبيب الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ،١٩٩٦م ص ٥١ دار الشروق

(*) مع الأخذ بالاعتبار، بكل تقدير واحترام أن هذا العمل العلمي، الدراسة (رسالتي للدكتوراه هذه) بكلية الآداب بجامعة قناة السويس بالإسماعيلية فإن هذا لا يتضاد و وفائي للأزهر الذي أنتمي إليه و أخلص له حتى النخاع مهما كان اختلافي مع بعض الإدارات او الإجراءات حتى بلغت حد التقاضي لدى مجلس الدولة.

و لكن (ليس من شك في أنه كان – أقول كان ولا يزال وسيظل بإذن الله – لجامعة الأزهر فضل الحفاظ على (الهوية) اللغة والدين طوال هذه المدة التي تلاحقت خلال ألف سنة فقد كان الأزهر ملاذا لطلاب العلوم الإسلامية و اللغوية، وكان بمثابة الحرم الرابع لعامة المسلمين، و لعل أعظم ما وفق إليه هو الحفاظ على التراث العلمي الإسلامي و العربي واللغوي خلال قرون الظلام و عهود البطش : من كتاب تاريخ العلم و دور العلماء العرب في تقدمه د. عبد الحليم منتصر صـ١٩٧ مكتبة الأسرة القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٢م برقم ايداع بدار الكتب ٢٠١٢/٨٣٨١

وعندي أنه لئن كانت الكعبة المشرفة بمكة المكرمة قبلة المسلمين بالصلاة فالأزهر كعبة العلم، فهذه هذه كونه حصن الإسلام... ومن شاء أن يتخذ إلى ذلك سبيلا فليسئل العارفين من بلاد جنوب شرق آسيا و كافة الدارسين و المنتسبين إلى أزهرنا الشريف وقد سعدت بلقاء الكثيرين منهم بعضهم من الصين و اندونيسيا وحتى بالمغرب العربي و قد سعدت بصحبة شقيق جزائري خلال فترة الدراسات العليا بالأزهر الشريف زاده الله شرفا ورفعة وعزة .

(١٤) هكذا في أكثر الكتب التاريخية المعتبرة كوفيات الأعيان والجامع المختصر والوافي بالوفيات وعيون الأنباء لابن أبي أصيبعة وشذرات الذهب ومرآة الجنان وطبقات ابن شهبة، وتاريخ الاسلام للذهبي

(١٥)انظر ابن شهبة (مخطوط في دار الكتب ورقة ٤٤-١).

١٦) والريّ – بفتح الراء وتشديد الياء – مدينة قديمة ومشهورة تقع في الجنوب الغربي من طهران عاصمة إيران. معجم البلدان لياقوت الحموي ٢٥٥/٤. وكتاب (الإسلام والحضارة العربية) لمحمد كرد علي – مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٠ الجزء الأول ص ٣١٩.

(١٧)(اللباب في تهذيب الأنساب) لابن الاثير ٤٥٠/١.

١٨) وقد اتحد معه آخرون باللقب أيضاً، كحال ولده الأصغر الذي لقب بلقب أبيه بعد موته (ابن أبي اصيبعة ٣٦/٢) وبالاسم واللقب والنسبة كصاحب مختار الصحاح الذي كان اسمه أيضا (فخر الدين محمد... الرازي)

(*) لا أتفق مع الدكتور الزركان في هذا التعبير (ابن الخطيب) أن يكون حديثه عن امام جليل،مفسر، متكلم أصولي ملأت شهرته الافاق على مثل ما يردد مناوئوا الامام الرازي تقليلا من شأنه رحمه الله تعالى.

(١٩)متصوف توفي سنة ٢٥٨هـ (الطبقات الوسطي للشعراني. مخطوط في دار الكتب المصرية.ورقة ٥٨-ب).

٢٠) هم اتباع محمد بن كرام. ذكر الرازي أنهم (يعتقدون أن الله جسم وجوهر ومحل للحوادث ويثبتون له مكاناً) (اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ٦٧) وانهم يجوزون وضع الاحاديث لمساندة مذهبهم (المحصول في أصول الفقه ١٥٨ – ب)

٢١) طبقات الشافعية للسبكي ٣٥/٥

٢٢) الوافي ٢٥٠/٤ والبداية والنهاية ٥٥/١٣ وأبو شامة ص٦٨ وطبقات السبكي ٣٦/٥.

وانظر تفصيل المناقشة المشهورة التي حدثت بينه وبين مجد الدين بن القدوة الكرامي سنة ٥٩٥هـ (تاريخ الاسلام للذهبي ١٥٥/٢٨ – ب واليافعي ٩/٤ وقلادة النحر لابن محرمه ٨١٣/١/٣ والشهرزوري في نزهة الأرواح ٢٩٣ – ب وشذرات الذهب ٣١٨/٤ – ٣١٩ و الخوانساري في روضات الجنات ص٧٠٠).

٢٣) الوافي ٢٥٠/٤.

(٢٤) كما في الذيل علي الروضتين ص٦٨ والعقد المذهب ٧٥ – أ.

(٢٥) كما في البداية والنهاية ٥٥/١٣.

٢٦) الشهرزوري ٢٩٤ – أ.

٢٧) روضات الجنات ص٧٠٠.

٢٨) كابن خلكان ٣٨٢/٣ والصفدي ٢٤٩/٤.

٢٩) لسان الميزان ٤٢٧/٤.

٣٠) مرآة الجنان ٩/٤. فخر الدين الرازي واراؤه الكلامية والفلسفية / صالح الزركان

٣١) كقول (براون) في كتابه (تاريخ الادب في ايران) ان الرازي اتصل بملك الحشاشين نور الدين محمد بن الحسن الصباح المتوفي سنة ٦٠٧ هـ/١٢٤٠ م وحصل منه علي مرتب كف لسانه عن التعرض للاسماعيلية (٨٥٧٨) ولكن براون لم يشر الي مصدر قوله هذا، واظنه استند الي رواية لاحد عداة الرازي في كتاب لم أطلع عليه.

٣٢) دائرة معارف محمد فريد وجدي ١٤٤/٤.

٣٣) ابن ابي أصيبعة ٣٣/٢ و ٣٦ والوافي ٢٤٩/٤ ومرآة الجنان ٨/٤ وشذرات الذهب ٢١/٥.

٣٤) لسان الميزان ٤٢٩/٤.

٣٥) المطالب العالمية ٤٤٧/٢.

٣٦) الاربعين ص ٤٨٣.

٣٧) انظر مثلا التفسير ٢٠/١٢ و ٨٥/٣١ و ٢٠٨، ١٧٩/١٩ ولوامع البينات ص١٢٦ و ٢٣٦.

٣٨) روضات الجنات ص٦٩٩ ومابعدها.

٣٩) معالم أصول الدين ص١٦٠.

(٤٠) د سعيد عبداللطيف فودة لدى تحقيقه لكتاب نهاية العقول في دراية الأصول للإمام فخر الإسلام الرازي ج١ ص ٤٣ بتصرف

(٤١)المصدر السابق نفس الصفحة

(٤٢) من مقدمة الدكتور سعيد عبداللطيف فودة لدى تحقيقه لكتاب نهاية العقول في دراية الأصول للإمام فخر الإسلام الرازي ج١ ص٤٣، ٤٤

(٤٣) المصدر السابق ص ١٤

(٤٤) المصدر السابق تفس الصفحة

(٤٥) نقلا عن د.سعيد فودة في تقديمه لكتاب نهاية العقول تأليف الامام فخر الدين الرازي ص(١١)

(٤٦) المصدر السابق ص ١١

(٤٧) الدكتور إبراهيم مدكور: فى الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق، جـ٢، ص ٥٣ – ص ٥٤.

(٤٨)الدكتور ماجد فخرى: تارخي الفلسفة الإسلامية، ص ٤٣٨.

(٤٩)ابن خلدون: المقدمة، ص ٤٦٦. نقلا عن كتاب نهاية العقول تقديم د. سعيد فودة(ص ١٤٣)

(٥٠)الدكتور عباس محمود حسن: الصلة بين علم الكلام والفلسفة فى الفكر الإسلامى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٨م، ص ١٠.

(٥١)المصدر السابق ص ٧٠.

(٥٢) د. إبراهيم مدكور: فى الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق، جـ١، ص٥٣.

(٥٣) تفسير الرازي ج١ ص ١٢٢)

(٥٤) المصدر السابق نفس الصفحة

(٥٥) تفسير الرازي ج١ ص ١٢٢– ١٢٣)

(٥٦)المصدر السابق ص ١٢٣

(٥٧)تفسير الرازي ج١ ص ١٢٥)

(٥٨)المصدر السابق نفس الصفحة

(٥٩)المصدر السابق ص– ١٥٨)

(٦٠)المصدر السابق نفس الصفحة

(٦١)المصدر السابق ص ١٦٢)

(٦٢)نفس المصدر والصفحة

(٦٣) نفس المصدر والصفحة

(٦٤) التفسير الكبير، ج ١٥، ص ٦٩- ٧٠.

(٦٥) المصدر السابق، ج ١٥، ص ٦٦- ٦٨.

(٦٧) المصدر السابق، ج١، ص ١٢٢، ج ٢٣، ص ٢٢٣، وأساس التقديس، ص ٩٩ و ص ١١٩- ١٢٢

(٦٨) المصدر السابق ج١ ص ١٦٣)

(٦٩) نفس المصدر والصفحة

(٧٠) نفس المصدر والصفحة

(٧١) نفس المصدر والصفحة

(٧٢) المصدر السابق ص ١٦٤)

(٧٣) المصدر السابق ج١ص ١٦٤)

(٧٤)المصدر السابق نفس الصفحة

(٧٥) المصدر السابق نفس الصفحة

(٧٨) المصدر السابق نفس الصفحة

(٧٩)المصدر السابق نفس الصفحة

(٨٠)المصدر السابق نفس الصفحة

(٨١)محمد صالح الزركان(فخر الدين الرازي و آراؤه الكلامية والفلسفية) رسالة ماجستير دارالعلوم بالقاهرة (ص ٢٠٢)

(٨٢)المصدر السابق (ص ٢٠٤)

(٨٣) المصدر السابق نفس الصفحة

(٨٤) المصدر السابق نفس الصفحة

٨٥)المصدر السابق ص (٢١١)

(٨٩)المصدر السابق ص (٢١٣)

(٩٠)المصدر السابق نفس الصفحة